مجلة الدراسات الأثرية ISSN: 1111-7699
المجلد: 23 / العدد: 01 /2025 / ص ص 144-157 EISSN : 2600-6499

التحصينات الدفاعية بالمغرب الأوسط – الأسوار نموذجا

Defensive Fortifications in the Central Maghreb: City Walls as a Model

محمود شاوش[1]*

[1]جامعة 8 ماي 1945– قالمة chaouche.mahmoud@univ-guelma.dz

تاريخ الإسلام 2025/09/20 تاريخ القبول 12/01 /2025 تاريخ النشر 12/31 /2025

الملخص

نتطرق في هذا المقال إلى التحصينات الدفاعية أو ما يُعرف بالتحصينات العسكرية، التي تعد من أهم الوسائل التي استخدمها مؤسسو المدن منذ أقدم العصور. وبناء على ذلك، فإن مدن المغرب الأوسط ما تزال تحتفظ بتراث كبير من هذه التحصينات بمختلف أنواعها، من حصون وقلاع وأسوار، وهي منشآت حظيت باهتمام كبير من حكام الدول التي صنعت تاريخ المنطقة. وقد كان الهدف الأساسي من تشييدها هو الدفاع عن الممتلكات والأرواح، وحماية المدن وصد الغارات والهجمات المتكررة.

لقد أسهمت الحروب والصراعات التي عرفتها المنطقة في تعزيز الاهتمام ببناء الأسوار وما يلحق بها من أبراج ومرامي للسهام وغيرها من الملحقات الدفاعية، مما جعلها عنصرًا أساسيًا في المنظومة العمرانية للمدينة الوسطية. وبذلك فقد أدّت أسوار مدن المغرب الأوسط دورًا بارزًا في حفظ وحماية هذه المدن عبر مختلف العصور الوسطى التي شكّلت تاريخها السياسي والعمراني.

الكلمات المفتاحية: التحصينات الدفاعية، الأسوار، المغرب الأوسط، الأبراج، القلاع

Abstract

This study addresses the choice of location, adaptation strategies for the desert climate, the overall design and internal layout of the ksar. Accordingly, the cities of the Central Maghreb still preserve a substantial heritage of these fortifications in their various forms—forts, citadels, and walls. These structures received considerable attention from the rulers who shaped the region's history. Their main purpose was to defend property and lives, protect cities and fend off repeated raids and attacks. Wars and conflicts experienced by the region contributed to strengthening the focus on constructing walls and their associated features, such as towers, arrow slits, and other defensive annexes. As a result, these structures became an essential component of the urban system of the medieval city. Thus, the walls of Central Maghreb cities played a prominent role in safeguarding and protecting these urban centers throughout the various medieval periods that shaped their political and architectural history.

Keywords: Defensive fortification; city walls; central Maghreb; towers; castles

* المؤلف المرسل

مقدمة:

إن أول شيء سعى الإنسان لتحقيقه لغرض حماية نفسه هو القيام ببناء حواجز من حوله ،و ثاني شيء فكر به بعد اختيار مواقع المدن هي إحاطتها بسور حيث يعتبر هذا الأخير من أهم العناصر التي تدخل في تجهيز المدن ،هذا يعني وفي كلتي الحالتين أن الأمن و الأمان قيمة أساسية لنشأة المجتمع الحضري المستقر وهذا ما يعكسه بوضوح دعوة سيدنا إبراهم عليه السلام " رب أجعل هذا بلدا آمنا و أرزق أهله من الثمرات "[1].لقد سبق الدعاء بالأمن طلب الرزق وهو ما يؤكد أهمية الأمن للاستقرار الحضري للمجتمعات ،وهوما عكسته نشأة المدينة الإسلامية بصفة عامة ومدن المغرب الأوسط بصفة خاصة بالنسبة لعملية التحصين لحماية وجودها و تطور عمرانها، وانطلاقا من أهمية الأمن الذي يتوفر بتحصين المدينة اعتبرت الأسوار من المعايير الحضارية التي تتميز بها المدن [2]. لذلك أعتبر الإسلام بناء الأسوار إلى جانب القلاع والحصون من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض وهي كلها من مقاصد الشريعة الإسلامية، هذا ما جعل الفقهاء يصنفونها تصنيفا يضعها في عداد البناء الواجب، خاصة إدا كانت الحاجة إليها للدفاع عن الحرمات والأعراض مما أدى لوقف الأحباس لبنائها وترميمها بل أن الفقهاء ألزموا العامة للمشاركة في بنائها، كما نصت الأحكام التي وضعت في هذا المجال المحافظة عليها ما دامت تحقق الغرض الشرعي من بنائها[3]. ونشير هنا بأن الأحكام الفقهية جاءت بكل ما يتعلق بالأسوار سواء كانت مستقلة أو كانت عبارة عن أجزاء من حوائط المساكن المتصلة بها، من حيث وجوب الاهتمام بها لتحقيق الهدف الأصلي من وراء بنائها[4].

لقد عمل حكام الدول التي شكلت تاريخ المغرب الأوسط ومند تأسيس المدن الإسلامية الأولى لتثبيت الأمن والأمان لهذه المدن نظرا لطبيعة العلاقات بين الدول، فضلا عن الصراعات و مختلف النزاعات التي شهدتها المنطقة لكل هذا وذاك تفنن معماريو مؤسسي الدول الذين أسسوا مدن المغرب الأوسط في إنشاء تحصيناتهم الدفاعية لحماية مدنهم من مختلف الأخطار وصد هجمات الأعداء وهذا من خلال بناء تحصينات هي في الواقع عبارة عن أربطة مستطيلة الشكل و مزودة بأبراج للمراقبة ،و أما الشكل الأخر من التحصينات فيتمثل في بناء الأسوار التي زودت بوسائل دفاعية و مراقبة على غرار مرامي السهام .لقد شيدت تلك الأسوار لإحاطة مدنهم لغرض الحماية و الوقوف ضد مختلف الحصارات المختلفة في الزمن، لذلك تُعَدّ الأسوار من العناصر المعمارية الضرورية في تجهيز المدن الوسيطة، وقد ارتبطت أسوار مدن المغرب الأوسط ارتباطًا وثيقًا بحياة مدنها وسكانها. وقد كان لها دور كبير في صدّ الحملات العسكرية، كما هو الحال

[1] سورة البقرة، آية 126

[2] القزويني زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص ص 7– 8.

[3] محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس 1988، ص 122.

[4] إبراهيم الفائز، البناء وأحكامه في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه، جامعة محمد بن سعود،1406 هجري، ص 126.

مع أسوار قلعة بني حماد عند تعرضها لبعض الهزات، حيث وفي سنة إثنين وثلاثين وأربعمائة هجرية قام المعز بحصار القلعة لمدة سنتين لكن وبسبب حصانة ومتانة سورها عاد مدبرا من حيث أتى[5].

1 ماهية التحصينات العسكرية:

يقصد بالتحصينات العسكرية تلك الاستحكامات والموانع التي تنشأ حول مواقع المدن لغرض دفاعي بالدرجة الأولى [6].ويتم اختيارها بناء على أسس فنية وعسكرية تسمح أو تساعد على تقوية الشيء أو الموقع المراد الدفاع عنه أو حمايته من هجمات أو ضد حصارات فرضت عليه[7] وهي على نوعين:

1 – 1 **تحصين غير تابت:** وهو نوع من التحصينات المؤقتة التي تُستخدم أثناء الحروب وفي مواجهة العدو مباشرة، ويُنجَز لتحقيق هدف رئيسي يتمثل في التغلّب على العدو أو وضع العوائق للحدّ من تحرّكاته، أو حماية الجنود في موقع المعركة.[8]

1–2 **تحصين تابت (دائم):** وينفذ عادة في أوقات السلم بمواد بناء على غرار الحجر أو الطوب وغيرها، وهي تشمل الخنادق القلاع، القصبات والأسوار مع تدعيمها بوسائل دفاع ومراقبة مثل الأبراج، مرامي السهام وغيرها [9]. وفي مقالنا هذا سوف نتطرق لواحد من أهم المنشآت الدفاعية المتمثلة في الأسوار.

2– مفهوم السور:

السور في اللغة حائط المدينة وجمعها أسوار[10]. وتعد من أهم المنشآت المعمارية الحربية التي أهتم بها مشيدو المدن، لحمايتها. والسور مفرد كلمة أسوار وهو بناء يرتفع على مستوى سطح الأرض المخصصة لبناء المدينة، كما يحيط بالشيء أو المدينة كليا في المدن التي تنشأ في السهول أو بجانب الوديان، أو تحيط بها جزئيا في المدن التي تبنى في الأماكن التي تكون بعض أجزائها هي في الأصل تحصينات طبيعية مثل إنشاء بعض المدن على جبل أو على تل مرتفع يحميها من أحد جوانبها [11]. وأما من حيث مواد البناء فهي تبنى في الغالب بالحجارة خاصة المدن الجبلية والآجر المحروق أو الطين النيئ على شكل قوالب من اللبن المجفف أو حتى كتل من الطين خاصة في مدن السهول و السواحل

[5] عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة 1991 م، ص 97.

[6] عزوق عبد الكريم <التحصينات الدفاعية الإسلامية لبجاية>، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، دورية نصف سنوية، العدد 24 يوليو 2011 م، ص 3.

[7] محمد بن محمد الحسن إبن العنابي، السعي المحمود لنظام الجنود، تحقيق محمد عبد الكريم الجزائري المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983 م، ص 129.

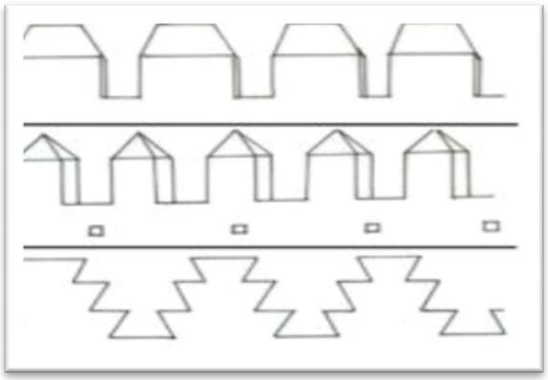
[8] محمد أكرم ديري وآخرون، الموسوعة العسكرية، الطبعة الأولى، الجزء الأول المؤسسة العربية للطباعة والنشر 1980 م، ص 256.

[9] نفس المرجع، ص 275.

[10] محمد أمين وليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة 1990 م، ص 28.

[11] عبد الله الحداد مقدمة في الآثار الإسلامية، دار الشوكاني، صنعاء اليمن 2003 م، ص 87.

إلى مادة التراب (الطابية) التي تعتبر مادة أساسية في تشكيل الكثير من أسوار المنطقة نظرا لملاءمتها وتماشيها مع طبيعة المنطقة إلى جانب سهولة الحصول عليها[12].و عادة يتكون السور من الأساس حيث يحفر في الأرض ويراعى في عمقه و عرضه سمك و ارتفاع السور ذاته لأنه كلما كان الارتفاع عالي يكون عمق حفر الأساس أعمق ، وكلما كان سميكا كان العرض أكبر [13].للإشارة فأساسات الأسوار تستعمل فيها مواد بناء صلبة مثل التي تستعمل في بدن الأسوار وهي تتكون من الحائط المرتفع الذي يتم بناؤه فوق الأساس أما من حيث الشكل فقد كانت لطبيعة و خصوصية الموقع الطبوغرافي المختار لتأسيس المدينة الدور الأساسي في تحديد شكل السور المنشأ ، لكن بصفة عامة فإن الأسوار كانت أثناء البناء تلحق بها في أجزائها العلوية ما يسمى بمرامي السهام أو الشرافات(ينظر شكل رقم 1). ومزاغل لصب السوائل الحارقة إلى جانب نقاط مراقبة تتمثل في أبراج للمراقبة والدفاع وبمختلف الأشكال وعلى مسافات معينة غالبا ما تكون متساوية فيما بينها وفتح في بدن الأسوار مداخل محكمة البناء ونظرا لأهميتها على اعتبار أنها تشكل نقاط ضعف وقوة للمدن زودت بأبراج جانبية نظرا كما قلنا لأهميتها ومراقبة الداخل والخارج من وإلى المدينة أو المنشأة العمرانية[14].



شكل رقم 1 نماذج للشرافات المستعملة في العمارة الدفاعية

عن P. Ricard, Pour comprendre l'art musulmane…p.221

2- 1 أهمية الأسوار:

تكمن أهمية الأسوار في كونها تمثل عنصرا معماريا يتجاوز دوره الدفاعي الذي يعتبر في الظاهر الهدف الأساسي من بنائها، إلى الدور السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي، لذلك فهي أولا تعكس علاقة المدينة بمحيطها وفي نفس الوقت تعبر عن سلطتها أو لنقل نظامها السياسي ونظامها العمراني ، لذلك فأسوار المدن في الواقع لا تمثل حاجزا ماديا فحسب

[12] بن نعمان إسماعيل، < البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي تقنية الطابية نموذجا>، مجلة كان التاريخية دورية إلكترونية محكمة ربع سنوية، السنة الثالثة، العدد 10، ديسمبر كانون الأول 2010 م، ص 19.

[13] براز محمد، التحصينات العسكرية في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط 2003 م، ص 99.

[14] براز محمد المرجع السابق، ص 103.

،بل تجسد أيضا حدودا للمدينة و السلطة و السيادة للفضاء العمراني للمدينة ، وعليه فالأسوار كانت تشيد وفق اعتبارات جغرافية و طبوغرافية ،مستفيدة بذلك من طبيعة الموقع مع مراعات طبعا المخاطر الأمنية والتنظيم الداخلي للمدينة .

أما إذا أردنا الحديث عن أهمية الأسوار من خلال وظيفتها الدفاعية فإن هذه الأخيرة اكتسبت أهمية كبرى خاصة إذا وضعناها في إطارها الدفاعي وضمن المنشآت العسكرية ومند أقدم العصور وهذا بالنظر كما قلنا للدور الدفاعي التي تلعبه، و انطلاقا منه فقد اقتضت الظروف لإحاطة و تسوير المدن في الفترة الوسيطة عند إنشائها ، ونشير هنا بأن البعض قد يتساءل لعدم إحاطة مدن الهجرة الأولى بسور على غرار كل من البصرة و الكوفة والفسطاط مادامت الأسوار عنصرا أساسيا يدخل في تجهيز المدن كما ذكرنا سابقا غير أن سبب عدم إحاطة المدن التي ذكرت يرجع ربما في كون هذه المدن مازالت في طور الإنشاء و التوسع ، وهذا يعني أن عمرانها معرض للتغيير والتوسع وفي وقت قصير و بالتالي لن يتوقف عند حدود معينة، لأنه كلما تستقبل تلك المدن موجات بشرية يؤدي هذا إلى توسع عمرانها وهو ما يحول دون تسوير تلك المدن المبكرة أو المنشأة في مرحلة مبكرة كما يسميها المختصين في العمران الإسلامي ،فضلا عن هذا فإن المدن السابقة الذكر اتخذت ومند البداية الأولى مظهرا حربيا بمعنى أنها كانت بمثابه معسكرات حربية تفي بمتطلبات الجيوش الفاتحة، وفي نفس الوقت هي نقاط للانطلاق نحو فتوحات أخرى، وبالتالي لم تكن الحاجة ملحة لإحاطتها بأسوار، لاسيما وأن دواعي الأمن و الأمان متوفرة في أقاليم الدولة الإسلامية الناشئة، زيادة على هذا فإن ساكنة تلك المدن هم في الأصل من الجند الفاتحين، لكن المتتبع لتاريخ تلك المدن الأولى يلاحظ أنها كانت محاطة كلها بأسوار في مرحلة لاحقة من حياتها و هذا يدخل في نطاق ما يسمى باختلاف أسباب و دواعي تسوير المدن الإسلامية في العصر الوسيط[15]

لقد بات ومن المؤكد تسوير المدن ومند أقدم العصور عمل ضروريا لذلك ومع مرور الوقت تبلورت الدلالة الحضارية للسور الذي يرمز إلى الطمأنينة والسكون ولا يتحقق هذا إلا بتسوير المدن إلى جانب المنشآت الأخرى كالقلاع والقصبات، دون أن ننسى أهمية ودور الموقع الطبوغرافي للمدن الذي هو الآخر له دور في تحقيق الأمن والأمان للمدن وساكنتها [16].حيث يكون مثلا وكما يقول "ابن خلدون" على هضبة متوعرة من الجبل أو استدارة نهر أو بحر كي لا يصل إليها إلا من خلال عبور جسر أو قنطرة [17].

إن أهمية الأسوار كعنصر من العناصر المعمارية التي تدخل ضمن النسيج العمراني ضرورة عمرانية وأمنية وحتى فنية بالنسبة للمدينة الإسلامية، هذه الأهمية تؤكد ما جاء به الفكر العمراني الإسلامي من خلال المصادر التي تناولت هذا الفكر إذ جميعها تلح على مسؤولية مؤسسي المدن في إحاطتها بالأسوار، هذا ما أكده كتاب ابن الربيع في هذا الشأن إذ

[15] الشريف عبد الله، تاريخ المدن الإسلامية في الغرب الإسلامي، دار الفكر، دمشق 2007 م، ص 127.

[16] الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، دار الوفاء دنيا للطباعة والنشر، الأسكندرية، ص 173.

[17] عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات، المدينة الإسلامية في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1994، ص 18.

قال < من جملة الشروط التي يجب توفرها عند تأسيس المدن هي أن تحاط بسور خوفا من اغتيال الأعداء، لأنها بجملتها دار واحدة.. >[18] .

إن أسوار المدن في العصور الوسطى هي مفتاح من مفاتيح الحضارة نفسها.. هي الغنى والثراء المادي، لأنها الحدود الفاصلة بين عالمين مختلفين: عالم البادية وعالم المدينة وبالتالي علاقة أقيمت بين المجالين المذكورين حتى تكون علاقة انضباط قائم على الإقناع الضروري لقضاء مصالح متبادلة بين مجالين: مجال الريف والبادية والمجال الآخر هو المدينة نفسها، هذا يعني أن الأسوار تعكس جانبا مهما من جوانب تاريخ التعمير في العصر الوسيط [19]

3- 2 ملحقات الأسوار:

1- الأبراج:

تعتبر من العناصر المهمة في أسوار المدن والحصون وغيرها من المنشآت العسكرية، وهي عبارة عن بناء مرتفع في بدن السور أو باقي المباني العسكرية الأخرى، مثل القلاع والحصون والرباطات التي كان يرابط فيها الجنود لحماية المدن وتأمين حدودها.[20]. كما تتميز بارتفاع عن مستوى السور فضلا عن هذا فهي مزودة بعدد من عناصر المراقبة والدفاع على غرار المزاغل بمختلف أنواعها بالإضافة أيضا احتوائها على مرامي السهام أو الشرافات التي يحتمي خلفها المدافعون عن المنشأة، أما السقاطات فهي تستعمل لرمي المقذوفات وصب السوائل الحارقة من خلالها[21].وهذا العنصر نجده على أشكال، منها المربع والمستدير والنصف دائري والهرمي والمضلع.. وتتموضع إما أمام مبني لوحده [22].أو على نقاط معينة في بدن السور[23].

تتوزع الأبراج عادةً على مسافات محددة من السور المحيط بالمدينة وفي أركانه، وفي القلاع والحصون الصغيرة تتمركز في الأركان، وقد تكون على جوانب المداخل الرئيسة المهمة ، وتتميز بقاعدتها البارزة عن باق أجزاء المبنى أو السور بالإضافة لهذا فهي تتصل بالمنشأة من الأساس إلى الأعلى ، كما ترتفع عنها بارتفاع معين، من الناحية الإنشائية المعمارية تنقسم الأبراج إلى قسمين :قسم سفلي مصمت، وقسم علوي تشغله غرفة الحارس أو المراقب، نشير هنا بأن القسم السفلي في أنواع من الأبراج تكون كذلك عبارة عن غرفة تستغل لشغل مهام لها علاقة بأمن المنشأة،أما من حيث التغطية فإن الغرفتين تُغطيهما قبوات نصف دائرية، وللربط بين أبراج السور نجد في أعلاه الممشى أو ممشى السور الذي

[18] محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية ... المرجع سابق، ص 111.
[19] نفس المرجع، ص 122.
[20] عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى القاهرة 2000، ص 82.
[21] بورويبة رشيد، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي، من التح إلى بداية العهد العثماني، الجزء الثالث، م.و.ك، الجزائر 1984 م، ص 495.
[22] غرسيه غوميت إمليو، المدينة الإسلامية، التخطيط والعمارة، ترجمة حسن عبد الوهاب وزارة الثقافة التونسية 1984 م، ص 87.
[23] نفس المرجع، ص 88.

يقوم بربط الأبراج ببعضها البعض [24]. ولهذه الأبراج بمختلف أنواعها مهامّ دفاعية ومراكز حراسة متقدّمة، لكونها تتيح للمتواجدين فيها السيطرة ومراقبة أكبر مساحة خارج الأسوار، كما أنها وفي نفس الوقت تستخدم لإرسال إشارات تحذيرية لباقي نقاط المراقبة[25].وإلى جانب الوظيفة الدفاعية للأبراج فهي تعمل على تدعيم الأسوار من حيث الزيادة في قوتها و متانتها وتداد هذه الأخيرة إذا كانت الأبراج على مسافات متقاربة و في أركان السور فضلا عن هذا فإن الأبراج و بأشكالها المختلفة و تعددها و تناسقها من حيث انتظام المسافات بينها في شكل نقاط على طول نطاق أسوار المدن أو أي منشأة أخرى فهي تُضفي على المبنى أو المنشأة طابعًا جماليًا زخرفيًا[26].

2 – ممشى السور:

هو عبارة عن مسار مكشوف في أعلى طول الأسوار وهو متصل بين أجزاء السور، الأبراج، المزاغل وباقي الملحقات الأخرى، نصل إليه عبر سلالم أو من خلال منحدر حيث عن طريقه يمكن إيصال مختلف المستلزمات كوسائل الدفاع وغيرها من الأشياء التي يحتاجها الحارس أو الجندي المدافع عن المنشأة من أعلى السور، وهو مرتبط ارتباط تام ومباشر بالجدار الساتر الذي يحمي المترجل بالممشى[27]. كما أن هذا العنصر يعد جزءًا من سمك السور، ولذلك فإنّ عرضه يرتبط ارتباطًا مباشرًا بعرض السور. أما من حيث التسمية، فقد ورد هذا العنصر بعدّة أسماء، من بينها: "مطاف الحراس"، [28]. أو و"ممر الحراس" [29] .و " درب العسة "[30].

3 – **الجدار الساتر:**

هو عبارة عن ساتر يعلو الواجهات الأمامية للسور، ويبنى مباشرة في واجهة الممشى الذي يربط بين الأبراج، ويتوج بعناصر معمارية على غرار عنصر الشرافة وعدد معين من المزاغل، من حيث الوظيفة المعمارية فهو يمثل حاجز واقي أو حامي لمستعملي الممشى أثناء تنقلهم بين مختلف أجزاء السور لممارسة مهامهم [31].

4 – **الشرافات:**

[24] عبد العزيز سالم العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها عالم الفكر، العدد الأول، المجلد الثامن، أفريل، ماي السنة 1977 م، ص 128.

[25] فاروق محمد على، الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد 2006، ص 16.

[26] نفس المرجع، ص 23.

[27] خالد عزب، أسوار وقلعة صلاح الدين، الطبعة الأولى مكتبة زهراء الشرق، مصر 2006، ص 25.

[28] برويبة رشيد، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، الجزء الثالث، م. د.ك. الجزائر 184، ص 495.

[29] محمد بن حمو، <التحصينات العسكرية لمدينة هنين> دراسات تراثية الجزء الثاني العدد الخامس السنة 2014، ص 62.

[30] وليام وجورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وترجمة مراد بلعيد وآخرون، الطبعة الأولى، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص 134.

[31] أحمد رجب محمد على، قلاع وحصون وأسوار بوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية 2009، ص 22.

تعتبر من العناصر التي نجدها في أعلى المبنى حيث لا يقتصر وجودها على المنشآت العسكرية فحسب وإنما يتعداها إلى المباني الدينية وفي بعض المباني المدنية، ونجدها على عدة أشكال، فنجد مثلا الشكل المسنن والمتدرج أو على شكل ورقة الثلاثية البتلات والمدببة وغيرها من الأشكال المختلفة، وعموما فهي من حيث الشكل المتواجد يرجع إلى طبيعة المبني أو المنشأة المتواجدة فيها [32].

5 – المزاغل:

استخدمت في المباني العسكرية في العصور الوسطى أعالي الأبراج كستائر احتوت على مرامي ورواشن، والمرمى هو العنصر الدفاعي المخصص لرمي السهام لذلك جاء على شكل نافدة ضيقة أو شق في جدار السور أو البرج أو حتى الجدار الساتر، لقد تطورت أشكال المزاغل و تصميماتها عبر العصور حتى وصلت إلى أرقى مستوى إبان القرنين السادس و السابع الهجريين حيث أصبحت اكثر ارتفاعا فأصبح شكلها يشبه المحراب المتقن البناء بالحجر المنحوت وعلى شكل فتحة تتسع جهة الداخل و قائمة بين جدارين مائلين بشكل متعاكس و مسقطهما الأفقي مثلثا متساوي الساقين يقف فيها الرماة بارتياح[33].وقد استخدمت في العمارة العسكرية في الفترة الوسيطة وأقدم استخدام لها نجده في قصر الحير الغربي الذي يرجع للفترة الأموية [34].

6 – السقاطات:

هي عبارة عن بناء بارز عن سمت السور من الأعلى في أرضيته (فتحات) يمكن من خلالها صب السوائل المغلية وقذف الحمم النارية إلى جانب الرمي بالسهام، كما نجدها في أعلى أو فوق الأبواب وقد تزود أرضيتها المحمولة على كوابيل بفتحات لألقاء مختلف المقذوفات وصب السوائل الحارقة [35].

7 – الأبواب:

هي بالمفهوم المعماري الإنشائي عبارة عن فتحات نفدت في بدن السور، وبالتالي هي من العناصر المهمة في الأبنية بمختلف أنواعها وقد أوليت لها الأهمية عبر مختلف العصور سواء كان ذلك من الناحية الوظيفية أو الجمالية لأنها تعتبر من أضعف النقاط في المنشأة أو المبنى كونها المقصد الأول للمهاجمين، هذا ما جعل طابعها العام يتصف بالضخامة في أغلب الأحيان والمتانة والحصانة [36]. من مميزات هذا العنصر أنه يمتاز بتعدد تواجده من حيث العدد بالمقارنة بالعناصر الأخرى ، هذه الكثرة جاءت لتجنب الازدحام أثناء الدخول والخروج على اعتبارها المنفذ الوحيد [37].كما نجدها

[32] على سعيد يوسف، مآذن مدينة صنعاء حتى القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر ميلادي، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، بصنعاء – اليمن 2004، ص 165.

[33] فاروق محمد على، المرجع السابق، ص 19.

[34] خالد عزب، المرجع السابق، ص 137.

[35] عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 141.

[36] أبو القاسم إبن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان 1992، ص73.

[37] أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة – مصر (د . ت) ص51.

على عدة أنواع، فمنها الرئيسية و الثانوية، ومنها أيضا أبواب أخرى يطلق عليها أبواب النجدة التي تجسد في أسوار المدن والمنشآت المعمارية المستقلة، ونشير هنا بأن هذا النوع من الأبواب يبقى مجهولا أو سري بسبب اقتصاره فقط للاستعمال من طرف الحاكم وحاشيته المقربة، خاصة في ظروف تكون مهددة للجهاز الحاكم ،لذلك تبقى تلك الأبواب مجهولة المكان لدى العامة لتفادي الخيانة ولزيادة سريتها تسمى بتسميات عادية لا تميزها عن باقي الأبواب الأخرى مثال هذا النوع من الأبواب باب الخوخة لحاضرة الزيانيين تلمسان[38].

3 – نماذج لأسوار بعض مدن المغرب الأوسط:

1 سور مدينة تنس:

تعد مدينة تنس كغيرها من المدن التي أُحيطت بسور لحماية سكانها وضمان أمنها من مختلف الأخطار التي كانت تواجهها.وبرغم اختفاء معظم معالم هذا السور اليوم، ولم يبقَ منه سوى آثار قليلة تدل على وجوده السابق، فإن هذا الوجود يُلاحظ بوضوح في بعض المواضع المحدودة مقارنة باتساع المدينة، خاصة في الجهة الجنوبية الغربية حيث يبلغ سمكه حوالي 1.80م.[39] ويحقق هذا السمك غرضين أساسيين: هما زيادة متانة السور وصلابته، وتوفير المساحة الكافية لتشكيل ممشى السور الذي كان يُستخدم للحراسة والمراقبة.

وتظهر الخريطة المنجزة سنة 1875م أنّ آثار السور كانت تمتد على طول الجهتين الشمالية والغربية ومعظم الجهة الجنوبية للمدينة. كما يتضح من الخريطة نفسها أنّ السور كان كثير الانكسارات، ويرتبط ذلك بالطبيعة الطبوغرافية لموقع المدينة، وهي ظاهرة شائعة في مدن المغرب الإسلامي. ولذلك كانت تُجرى تعديلات على مسار الأسوار بما يتوافق مع طبيعة التضاريس وبما يضمن استكمال عملية بنائها دون إضعاف بنيتها الدفاعية [40] .(ينظر الصورة رقم 1). أما من حيث مواد البناء، فإن سور مدينة تنس، وعلى غرار أسوار مدن المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، قد استُخدم في تشييده تقنية الطابية، وهي تقنية شائعة خلال العصور الوسطى. ويعود انتشارها إلى سهولة تنفيذها وسرعة إنجازها، إضافة إلى انخفاض تكلفتها نظرًا لتوفر المادة الأولية بالقرب من موقع البناء.[41]

[38] وليام وجورج مارسي، المرجع السابق، ص 139.

[39] بن نعمان إسماعيل، <التحصينات الدفاعية في مدن المغرب الأوسط مدينة تنس نموذجا>، دراسات تراثية الجزء الأول، العدد الخامس السنة 2014، ص 427.

[40] بن نعمان إسماعيل، التحصينات الدفاعية في مدن المغرب الأوسط...، ص 428.

[41] بن نعمان إسماعيل، البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي، تقنية الطابية نموذجا.. . ص 19.

ISSN: 1111-7699
EISSN : 2600-6499



الصورة رقم 1 بقايا السور لمدينة تنس

عن بن نعمان إسماعيل

2 سور مدينة تاهرت:

على غرار باقي مدن المغرب الأوسط فإن مدينة تاهرت أحيطت بسور(ينظر الصورة رقم 2) وهذا ما أشار إليه ابن حوقل في قوله صراحة كون المدينة أحيطت بسور " و أما القديمة فقد زودت بسور وهي على جبل ليس بعالي "[42].إنه و بالرجوع للجغرافيين فإننا نجد بأن الرستميين ومنذ البداية أقاموا لعاصمتهم سورا دفاعيا و جعلوا فيه أربعة أبواب ونظرا لمتانة سورها أطلق على حاضرتهم معسكر عبد الرحمان بن رستم وبالتالي أضحت عاصمة الدولة و قصبة لعدد من المدن و القلاع والحصون [43] .من حيث مواد البناء التي استعملت في بناء سور المدينة فقد ذكرها صاحب كتاب الاستبصار بقوله " مدينة تاهرت هي مدينة قديمة كبيرة عليها سور صخر(أي من حجارة). ولها قصبة منيعة[44].

[42] إبن حوقل، صورة كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1992، ص 69.

[43] محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، بيروت 1976، ص 116.

[44] مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، كلية الآداب، مطبعة جامعة الإسكندرية 1958، ص 67.



الصورة رقم 2 بقايا لسور مدينة تاهرت

عن بو يحياوي عزالدين

3 سور بجاية:

بني سور مدينة بجاية على عهد الأمير الحمادي الناصر بن علناس حيث قام بإلغاء الضرائب عل سكان المدينة و تشجيع الهجرة إليها ، حيث أشرك في تشييد السور ألاف العمال وكان ذلك في أشهر قليلة [45] (ينظر الصورة رقم 3).أتخد سور المدينة الحمادي شكلا أوسع مقارنة بالسور الروماني ،حيث يمتد مساره من الجهة الشرقية خلف برج سيدي عبد القادر ومن الجهة الغربية للقصبة ،ليتجه جهة الشمال متبعا في ذلك المنحدرات الأرضية إلى أن ينعدم أسفل جبل قورايا[46].حيث أستغل جزء من هذا المنحدر الصخري كجزء مكمل للسور من الناحية الشمالية في نفس الخط مع الحصن الفرنسي لوماريار.

[45] عزوق عبد الكريم، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها دراسة أثرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورة دولة في الآثار الإسلامية معهد الآثار، جامعة الجزائر 2007/ 2008، ص 151.

[46] نفس المرجع، ص 152.



الصورة رقم 3 بقايا السور الحمادي بمدينة بجاية

عن عزوق عبد الكريم

لقد ساهمت الناحية الطبوغرافية لموقع المدينة في خلق تباين في ارتفاع السور وكذلك في سمكه حيث يختلف من نقطة لأخرى، إذ قدرت في الواجهة الجنوبية للقصبة وهي تمثل في الواقع استمرار لسور الواجهة البحرية للمدينة بـ 1،43 م . فحين يقدر عند المنحدر الصخري أسفل جبل قورايا على جهة يمين الطريق المؤدي إلى حصن قورايا بـ2،40 م. مع الملاحظة بأنه يتكون من ممشى بـ 1،55 م. ويحميه جدار ساتر يبلغ ارتفاعه 075 م [47].

من حيث مواد البناء المستعملة فهي تتنوع ما بين الحجارة والدبش والآجر[48]

الخاتمة

يتضح مما سبق أن التحصينات الدفاعية شكلت عنصرا أساسيا في نشأة وتطور مدن المغرب الأوسط، حيث أنها لم تكن مجرد منشآت معمارية فحسب بل تجسيدا لوعي جماعي بأهمية حماية المجال العمراني لمواجهة الأخطار الخارجية بمختلف أنواعها، لقد ساهمت الأسوار إلى جانب المنشآت الدفاعية الأخرى في ضمان استمرارية تلك المدن وحفظ استقرارها عبر العصور الوسيطة، الأمر الذي يجعل من دراسة هذا التراث المعماري العسكري مدخلا مهما لفهم تاريخ المنطقة وتطورها الحضاري والسياسي.

[47] عبد الكريم عزوق <التحصينات العسكرية ببجاية> مجلة الجمعية التاريخية السعودية دورية نصف سنوية، العدد 24 يوليو 2011، ص 18.

[48] بوطبة محموظ، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية، أطروحة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2017 / 2018، ص 322.

المراجع البيبليوغرافية:

1 المصادر:

– القرآن الكريم.

– أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، – مصر.

– أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت – لبنان – 1992.

– الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، دار الوفاء دنيا للطباعة والنشر، الأسكندرية.

– القزويني زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

– محمد بن محمد الحسن ابن العنابي، السعي المحمود لنظام الجنود، تحقيق محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983 .

– مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، الإسكندرية.

2 المراجع:

– أحمد رجب محمد علي، قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية 2009.

– الشريف عبد الله، تاريخ المدن الإسلامية في الغرب الإسلامي، دار الفكر، دمشق 2007.

– بورويبة رشيد، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، الجزء الثالث م.و.ك الجزائر 1984.

– بزاز محمد، التحصينات العسكرية في بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط 2003 .

– محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس 1988 .

– محمد عبد الله الحداد، مقدمة في الآثار الإسلامية، دار الشوكاني، صنعاء، اليمن 2003.

– محمد أمين وليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة 1990

– محمد إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، بيروت 1976.

– عويس عبد الحليم، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة 1991.

– عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات، المدينة الإسلامية في العصر الوسيط، الطبعة الأولى، المركز العربي، بيروت – لبنان– 1994.

– علي سعيد يوسف، مآذن مدينة صنعاء حتى القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر ميلادي، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن 2004.

– غرسيه غوميت أمليو، المدينة الإسلامية، التخطيط والعمارة، ترجمة حسن عبد الوهاب، وزارة الثقافة التونسية 1984.
– خالد عزب، أسوار وقلعة صلاح الدين، الطبعة الأولى، مكتبة زهرة الشرق، مصر 2006.
– وليام وجورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وترجمة مراد بلعيد وآخرون، الطبعة الأولى، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر 2011.

3 المقالات:

– بن نعمان إسماعيل، التحصينات الدفاعية في مدن المغرب الأوسط، تنس نموذجا ' دراسات تراثية '، الجزء الأول، العدد الخامس السنة 2014 .
– بن نعمان إسماعيل، البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي، تقنية الطابية نموذجا ' مجلة كان التاريخية '، دورية إلكترونية محكمة، ربع سنوية، العدد العاشر، السنة 2010، 19–26.
– محمد بن حمو، التحصينات العسكرية لمدينة هنين، ' دراسات تراثية ' الجزء الثاني، العدد الخامس السنة 2014، ص ص48–74.
– عزوق عبد الكريم، التحصينات الدفاعية لبجاية ' مجلة الجمعية التاريخية السعودية ' دورية نصف سنوية، العدد 24 يوليو 2011، ص ص75–95.
– عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها،' عالم الفكر ' العدد الأول، المجلد الثامن، أفريل – ماي 1977، ص ص89–166.

4 الأطروحات:

– عزوق عبد الكريم، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، دراسة أثرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر 2007 / 2008.
– بوطبة محفوظ، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية، أطروحة دكتوراة العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر 2017 / 2018.
– إبراهيم الفائز، البناء وأحكامه في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراة، جامعة محمد بن سعود، 1406 هجرية.
– فاروق محمد علي، الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة الإسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي، رسالة دكتوراة، جامعة بغداد، العراق 2006.

5 الموسوعات والمعاجم:

– محمد أكرم دبري وآخرون، الموسوعة العسكرية، الطبعة الأولى، الجزء الأول، المؤسسة العربية للطباعة والنشر 1980.
– عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة 2000.